حكومة الجماعة في قرطبة
(٤٢٢ - ٤٣٥ هـ)

م. عامر ممدوح خيرو
قسم التاريخ/ كلية الآداب
الجامعة العراقية

المقدمة...

تبحث الصفحات التي بين أيدينا موضوع (حكومة الجماعة في قرطبة) خلال الحقبة ٤٢٢-٤٣٥ هـ، وهو موضوع ذا أهمية بالغة كونه يتعلق بتجربة فريدة، وممارسة نموذجية في عصر امتلأ بصور الصراع الداخلي والاقتتال على السلطة مما جر على الأندلس كوارث كانت بداية تراجع الوجود الإسلامي فيها.

وقد حاولنا في هذا البحث تسليط الضوء على هذه التجربة منذ بدايتها وحتى وفاة مؤسسها أبو الحزم بن جَهْوَر في عام ٤٣٥ هـ، ذلك إن عهده يمثل التجربة الحقيقية لحكومة الجماعة، والمرحلة التي تلته من حكم أولاده وحتى سقوط الدولة النهائي على يد بني عباد في سنة ٤٦٢ هـ كانت تشوبها الكثير من الإخفاقات والعثرات التي أتينا على ذكر طرف منها وبإيجاز في نهاية المبحث الثالث.

احتوى هذا البحث فضلاً عن المقدمة والخاتمة على ثلاثة مباحث، كان الأول يغطي ظروف نشأة حكومة الجماعة من التعريف بمؤسسها، وأسباب اختياره لقيادة الدولة.

أما المبحث الثاني فقد خصصناه لبيان طبيعة حكومة الجماعة، وأهم المنجزات التي حققتها على مختلف الصُعد الأمنية والسياسية والاقتصادية.

وتتبع المبحث الأخير أثر منجزات حكومة قرطبة وما تركته من تغيير على واقع حال ما ضمته من مدن، هذا فضلاً عن تبيان النهاية التي آلت إليها والظروف التي أحاطت بها.

واعتمد البحث في إغناء مادته العلمية على مجموعة من المصادر الأولية والمراجع الثانوية، ومنها كتاب الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام الشنتريني (ت٥٤٢ هـ) وهو كتاب قيم في مضمونه كونه اعتمد روايات المؤرخ الأندلسي الكبير إبن حيان القرطبي في الحديث عن حكومة قرطبة، كما اعتمد البحث على كتب البيان المغرب لابن عذاري المراكشي (ت بعد ٧١٢هـ) والعبر لعبد الرحمن بن خلدون (ت ٨٠٨هـ) ونفح الطيب للمقري التلمساني (ت ١٠٤١هـ).

ومن المراجع الثانوية كتاب دولة الإسلام في الأندلس/ القسم الخاص بدول الطوائف للأستاذ محمد عبد الله عنان، وكتاب التاريخ الأندلسي من الفتح إلى سقوط غرناطة للدكتور عبد الرحمن الحجي.. وغيرها.

المبحث الأول
ظروف النشأة

سادت أرض الأندلس حالة من الاضطراب والفوضى العارمة بعد ذهاب الخلافة الأموية وانتهاء حكم أسرة الحاجب المنصور بن أبي عامر بانقلاب محمد بن هشام حفيد عبد الرحمن الناصر الملقب بالمهدي في ١٦ جمادى الآخرة سنة ٣٩٩ هـ ودخول البلد في دوامة طويلة من النزاعات والتناحر السياسي(١).

وباءت كل محاولات إبقاء الوحدة السياسية، وإعادة السلطة المركزية، والهدوء والاستقرار إلى البلاد بالفشل حتى ذي الحجة من عام ٤٢٢هـ حين أعلن أهل قرطبة وعلى رأسهم أبو الحزم جَهْوَر بن محمد بن جَهْوَر خلع الخليفة هشام الثالث وإلغاء الخلافة الأموية رسمياً، ومن ثم قيام ما عرف بـ (دول الطوائف) فيها(٢).

حينذاك توزعت السلطة في مختلف مدن الأندلس بين مجموعة من الزعماء والقادة والوزراء السابقين الذين حكموا عدة كيانات صغيرة مستقلة الواحدة عن الأخرى، وقسمت الأندلس على ضوئها إلى عدة مناطق مثلت هذه الدول.

أما في قرطبة فقد أسند أهلها إدارة أمورهم وشؤون مدينتهم إلى إبن جَهْوَر، فكان إيذاناً بتأسيس ما عرف في التاريخ الأندلسي بـ **(حكومة الجماعة)**(٣).

وتبسط حكومة قرطبة هذه سلطتها جغرافياً على رقعة متوسطة من الأندلس، فهي (تمتد شمالاً حتى جبل الشارات (Sierra Morena)، وشرقاً حتى منابع نهر الوادي الكبير، وغرباً حتى قرب إستجة، وجنوباً حتى حدود ولاية غرناطة، وتشمل من المدن عدا قرطبة، جيان وأبرة وبياسة والمأثر وأرجونة واندوجر)(٤).

وسنحاول في هذا المبحث إعطاء لمحة ولو بسيطة عن الظروف التي نشأت فيها حكومة قرطبة وما يحيط بها من جوانب رئيسية.

أولاً: رئيس الحكومة.. بطاقة تعريفية.

ترتبط **(حكومة الجماعة)** بمؤسسها إبن جَهْوَر الذي كان صاحب فكرتها المبتكرة ومخترعها آنذاك ورئيسها الأول.

وابن جَهْوَر، هو «أبو الحزم جهور بن محمد بن جهور بن عبيد الله بن احمد بن محمد بن الغمر بن يحيى بن عبد الغافر بن يوسف بن بخت بن أبي عبدة»(٥).

وهو شيخ الجماعة(٦)، وأمينها(٧)، ورئيس قرطبة (٨)، وهي ألقاب تدل بمجموعها على مكانة رفيعة بين الشخصيات البارزة في الأندلس عامة.

وتذكر المصادر التاريخية أن جد عائلة بني جَهْوَر الداخل إلى الأندلس يوسف بن بخت بن أبي عبدة الفارسي كان مولى لعبد الملك بن مروان ودخل الأندلس عام ١١٣هـ مع طالعة بلج بن بشر، وهو من أنصار عبد الرحمن الداخل (ت ١٧٢هـ)، وأحد كبار الموالي بقرطبة، إذ ولاه عبد الرحمن حجابته[٩]، ثم تولى القيادة في عهد ولده هشام الرضا، ومن بعده الحكم الربضي[١٠]، وتعاقب أولاده وأحفاده على مناصب الوزارة والقيادة تباعاً في ظل الأمويين من أمراء وخلفاء[١١].

وتشيد الروايات التاريخية بهذا الشخص، فقد كان لدخوله الأندلس «أثر عظيم ظهر له فيها من جميل الذراع وسعة الباع، وحسن الامتناع ما لم يظهر لأحد من النظراء من حين الفتح إلى وفاة أبي الحزم»[١٢]، وهو ما يدل على علو مكانته، والمهارات الواسعة التي كان يمتلكها هو وأبناءه وأحفاده من بعده، مما أهلهم جميعاً لينخرطوا في سلك العمل مع الأمراء والخلفاء الأمويين طيلة قرون طويلة.

ثانياً: أسباب اختيار إبن جَهْوَر.

جاء اختيار أبو الحزم بن جَهْوَر لهذه المهمة الكبيرة بناءً على عدة معطيات توفرت في وقتها، ولعل في مقدمتها المكانة العريقة التي حضيت بها عائلته ولم يختلف حولها اثنان[١٣]، والصفات الإيجابية الواسعة التي امتلكها، مما فصل فيه المؤرخون وأفاضوا، وهذا جزء منها:

١. **مكانة عائلته:** انحدر ابن جَهْوَر من عائلة امتازت بباعها الطويل في عالم الوظائف الرسمية والسياسة، فهو «بقية الأشراف من بيوت الوزارة»[١٤]، كما إنهم مارسوا شتى صنوف الوظائف، وكانوا متعاقبين على «الخطط السنية الشريفة من الحجابة والوزارة والقيادة والكتابة إلى أن وقعت الفتنة العظمى بالأندلس»[١٥]، وهم «أهل بيت وزارة، اشتهروا كاشتهار إبن هبيرة في فزارة»[١٦].

وفضلاً عن أصالة المنبت وشرف المكانة وعلوها، فقد منح هذا الانتساب أبا الحزم بن جَهْوَر مقومات القيادة والقدرة على الإمساك بزمامها من جهة، كما إنها أعطته الفرصة للاستفادة من تراكمات خبرة عائلته الطويلة والمتواصلة والجديرة بالاهتمام جيلاً بعد آخر من جهة أخرى' فقد تولى عبد الملك بن جهور الوزارة للأمير عبد الله بن محمد والخليفة الناصر لدين الله[١٧]، وتولى ولده جهور بن عبد الملك أيضاً الوزارة في عهد الناصر[١٨]، وولي محمد بن جهور بن عبد الملك أبو الوليد ووالد أبو الحزم جَهْوَر الخزانة للناصر[١٩]، كما تقلد الوزارة كذلك في عهد الحاجب المنصور بن أبي عامر[٢٠].

أكسب هذا التتابع في الوظائف والمناصب ذات الطبيعة السياسية والإدارية عائلة بني جَهْوَر مكانة مهمة، وأعطتهم الفرصة والقدرة – من ثم– لممارسة أثراً ملحوظاً داخل الأراضي الأندلسية على اختلاف العهود وأن يكونوا في واجهة الأحداث وضمن الأسماء البارزة.

٢. **خبرته السياسية:** امتلك أبو الحزم بن جَهْوَر مهارة سياسية واسعة منحته خبرة متراكمة، وقدرة على اتخاذ القرارات الحاسمة في وقتها المناسب، ليس هذا فحسب وإنما أن يكون ذا أثر بالغ داخل مدينة قرطبة وما حولها.

ولذلك لم يكن غريباً أن يقع اختيار أهل قرطبة عليه بعدما بقيت المدينة دون قائد أو حاكم في قرار عده ابن الخطيب «أعطاء قوس السياسة باريها»[٢١]، وذلك لما يمتلكه ابن جَهْوَر من خبرات وقدرات وإمكانيات، ولا عجب فهو «قديم الرياسة، موصوفاً بالدهاء والعقل»[٢٢]، كما إنه لم يختلف عن أسلافه ممن قضوا شطراً كبيراً من حياتهم في ميادين الوزارة والقيادة أي مارسوا الجانب العملي من الخبرة السياسية والإدارية، فقد تولى الكتابة في عهد عبد الرحمن بن المنصور (شنجول)[٢٣]، والوزارة لعلي بن حمود مؤسس الدولة الحمودية[٢٤].

وفضلاً عن هذا، عاش أبو الحزم جميع التطورات السياسية الخطيرة التي مرت بها الأندلس في السنوات الأخيرة للخلافة ومن ثم الفتنة وما رافقها من أحداث، وعلى الرغم من قوة التصارع والتنافس وانفلات زمام الأمور وقتها، لم يدخل ابن جهور في أمور الفتن وكان يتحاشاها ويبتعد عنها[٢٥]، وهو موقف إيجابي يعبر عن بعد نظر، ورجاحة في الفهم، وقرار مبدأي بعدم الخوض في الصراعات الداخلية، وهو ما أكسبه حب الأهالي ومساندتهم له من جهة، وترك تأثيره على سياسته حين تولى رئاسة حكومة قرطبة من جهة أخرى.

على إن هذا الموقف الحكيم لا يعني انعزاله وعزوفه عن ممارسة مهامه، إذ نجده يحاول إيجاد حلاً للأوضاع السيئة التي سادت خلال تلك السنوات الصعبة قبل إعلان إلغاء الخلافة، ومارس تأثيراً كبيراً داخل مدن الأندلس عامة وقرطبة على وجه الخصوص، حتى (غدا في نهاية الأمر شيخ الجماعة، وزعيم المدينة الحقيقي، وكان كثيراً ما يؤثر رأيه في تطور الشؤون والأحوال، في تلك الأعوام الأخيرة التي كانت تحتضر فيها خلافة قرطبة وتسير سراعاً إلى نهايتها المحتومة)[٢٦].

٣. **التزامه الديني وتواضعه:** يجد المتابع لأخبار أبو الحزم بن جَهْوَر أنه كان على درجة عالية من الالتزام الديني، والاندماج الاجتماعي، إذ وصفه أحد المؤرخين بأنه «من أشد الناس تواضعاً وعفة وصلاحاً وأنقاهم ثوباً، وأشبههم ظاهراً بباطن وأولاً بآخر، لم يختلف به حال من الفناء إلى الكهولة، ولم يعثر له قط على حال يدل على ريبة... مشاهداً للجماعة في مسجده، خليفة الأئمة متى تخلفوا عنه.. مشاركاً لأهل بلده، يزور مرضاهم ويشاهد جنائزهم»[٢٧].

وبقي ابن جَهْوَر على التزامه الديني حتى بعد توليه رئاسة حكومة قرطبة، وظل «يؤذن عند باب مسجده بالربض الشرقي، ويصلي التراويح، ولا يحتجب عن الناس» [٢٨].

وغني عن القول أن هذه الصفات الإيجابية مارست بمجموعها تأثيراً نفسياً على الأهالي الذين رأوا فيه نموذجاً يستحق أن يقودهم ويستلم زمام الأمور في مدينتهم، ويطبق سياسة العدل في وقت الفتنة الخطيرة.

٤. **ثقافته وعلمه:** لم يكن ابن جهور سياسياً فحسب، وإنما مزج بين هذا الجانب مع الثقافة الواسعة التي امتلكها عبر سنوات التلقي المعرفي في مختلف مراحله، فهو لم يكن مقطوعاً عن حلقات العلم وميدان الثقافة الواسعة، فكان «جليس كتاب منذ درج، ونجي نظر منذ فهم... خليفة الأئمة متى تخلفوا عنه، حافظاً لكتاب الله قائماً به في سره وجهره، متقناً للتلاوة»[٢٩].

ونفهم من النص المتقدم أن تعليم إبن جَهْوَر وثقافته– ولا سيما الشرعية– قد بلغت مرتبة جيدة أهلته لأن يؤم الناس في الصلاة لإتقانه حفظ القران الكريم وتلاوته، وهو ما ترك تأثيره على تطبيق الشورى في حكومته على النحو الرائع الذي ظهرت به كما سنرى، مثلما إنها منحته ثقة أهالي قرطبة وتأييدهم المطلق وبكافة فئاتهم ولا سيما فقهاءهم الذين كانوا يمثلون فئة مهمة ضمن تركيبة المجتمع الإسلامي في الأندلس.

المبحث الثاني
حكومة الجماعة طبيعتها وإنجازاتها

أولاً : طبيعة حكومة الجماعة.

كان تولي ابن جَهْوَر للسلطة في قرطبة إيذاناً بعهد جديد، وحكم دولة نموذجية في هذه المدينة المهمة التي تمثل قلب الأندلس النابض، فقد عمد إلى تطبيق نظام جديد وفريد من نوعه في إدارة دفة الحكم في الأندلس ولا سيما في خضم السنوات التي كان التفرد بالحكم سمتها وميزتها الأساسية.

«ويرجع التفرد في النظام المبتكر الذي جرت عليه تلك الدولة لا إلى براعة أبي الحزم بن جهور وحسب، بل إلى طبيعة مدينة قرطبة أم المدائن، ومؤئل الاجتهاد الفقهي وحاضرة العلم، فقد كان لا بد لأبي حزم وهو يخلف الأمويين في العاصمة التي تدين لهم بالولاء من أن يقنع الناس بأنه يؤثر مصلحة المدينة على مصلحته الخاصة، فهو ابنها البار ولا بد من أن يمهد لسكانها بعد إذ جارت عليهم الفتنة ما ينسيهم عهد الأمويين سعة وطمأنينة ورخاء وأمناً»[٣٠].

وكان إبن جَهْوَر في بداية الأمر قد رفض تولي الأمر ولم يطلبه لنفسه، وفي هذا إشارة واضحة على نبل موقفه وصحته، فلما «اجتمع الملأ من أهل قرطبة على تقليد أمرهم وتأميرهم

للشيخ أبي الحزم بن جهور، وعددوا من خصاله ما لم يختلف فيه أحد منهم، وأبى من ذلك، فألحوا عليه»[٣١].

وإزاء هذا الإجماع على شخصه، وافق ابن جَهْوَر على هذا القرار ولكن بشروط وضع على ضوئها أساس حكومته التي كانت (الجماعة) صفتها وشكلها، فلم يتفرد بالرئاسة، ولم يتعد إسم الوزارة[٣٢]، ولا تسمى بسلطان ولا بلقب ولا خطب له على منبر، ولا كتب أسمه على سكة[٣٣].

ويمكننا تلمس طبيعة الحكومة التي وضعها ابن جَهْوَر من مجموع الروايات التاريخية المتعلقة بها، فقد تكونت من مجلس شورى ضم عدداً من الوزراء وأفاضل الناس وخيارهم، ويكون ابن جَهْوَر (أمين الجماعة)، ويشاوره اثنان من أولاد عمه وهما (محمد بن عباس وعبد العزيز بن حسن) دون تأمير[٣٤] كما اشترط الملأ ذلك بالمقابل.

وعد ابن جَهْوَر نفسه رئيساً مؤقتاً لحين مجيء يقود الدولة بجدارة إذ «جعل نفسه ممسكاً للموضع إلى أن يجيء مستحق يتفق عليه، فيسلم إليه»[٣٥].

ثم عمد ابن جَهْوَر إلى تطبيق رؤيته الشورية تلك بشكل بديع حين مارس السلطة بشكل جماعي رائع، «فإن سئل قال: ليس لي عطاء ولا منع هو للجماعة وأنا أمينهم، وإذا واجه أمراً مهماً أو عزم على تدبير، أحضرهم وشاورهم، فيسرعون إليه فإذا علموا مراده فوضوا إليه بأمرهم، وإذا خوطب بكتاب لا ينظر فيه إلا أن يكون باسم الوزراء»[٣٦].

ونجد أن ابن جهور منح حكومته الطابع الشوري بأبعد صوره، وكان حريصاً كما نلمس من خلال هذه النصوص على ترسيخه لهذا المبدأ الإسلامي الأصيل منذ بدء الفتنة وجعله منهاجاً لعمله وسياسته التي كانت تعبيراً حقيقياً عن رأي الجماعة وتوجههم، وهو ما أوجزه ابن خاقان فيما ينقله لنا المقري بعبارة جزلة قائلاً: «جعل يقبل مع أولئك الوزراء ويدبر، وينهل الأمر معهم ويدبر، غير مظهر للانفراد، ولا متصرف في ميدان ذلك الطراد»[٣٧].

وتواجه الباحث مجموعة من علامات الاستفهام عن مصدر هذه الفكرة الرائعة التي اتبع أثرها ابن جهور، وكيف تمخض تفكيره عنها، ودوافعه لها، إذ لا نجد في المصادر شيئاً تفصيلياً عن هذه المراحل من تشكيل حكومة قرطبة.

ويضع المؤرخ الكبير محمد عبد الله عنان احتمالات عديدة بهذا الخصوص، فربما كان ذلك بعد نظر ودهاء بارع يحاول به ابن جَهْوَر جمع الكلمة واتقاء منافسة الزعماء الأقوياء، وقد يكون راجعاً حقاً إلى محبته للشورى والتضامن، وهو مع ذلك يعتبر إن حكومة الجماعة أياً كان سبب إنشائها ودوافعها كانت بلا ريب نموذجاً بديعاً من حكم الشورى او حكم الأقلية الارستقراطية، في عصر سادت فيه نزعة الرياسة الفردية والحكم المطلق، وكان من أبرز مزاياها أن يستطيع

الرئيس أن يتنصل من المسؤولية وأن يستظل بلواء الجماعة إذا ما ساءت الأمور، وأن يحرز الثناء وجميل الذكر إذا حسنت العواقب[٣٨].

ولعل تشكيل حكومة الجماعة كان نتاج حوارات طويلة مع بعض رموز المدينة أوحت لابن جَهْوَر بالفكرة، كما لا نستبعد أن يكون للفقهاء نصيب فيها ولا سيما ونحن نتحدث عن مركز الدولة وثقلها الرئيس في جميع الميادين السياسية والدينية ولا يمكن أن يكون هذا التدبير قد مر دون مشاورة الفقهاء أو على أقل تقدير نيل موافقتهم عليه، وهو ما يعبر عن فقه عميق ونظرة إسلامية متفتحة.

ويجب أن لا نغفل ما نوهنا عليه آنفاً من امتلاك ابن جَهْوَر قدراً لا بأس به من الثقافة الإسلامية والخبرة السياسية ساعدته دون شك في الوصول لهذا الشكل من الحكم، مثلما إن وعيه بما جر التسلط والاقتتال وقت الفتنة من كوارث على الأندلس جعله يدرك أن طريق الشورى والحكم الجماعي هو السبيل الأمثل لإدارة المدينة وإن ما سواها يعني المضي في طريق الزوال القريب.

ومهما يكن من أمر فإن إبن جهور لم يخل من دهاء وعقل سياسي راجح كان له أثر كما أسلفنا في التوصل لهذه الصيغة من الحكم، وإن رغباته الشخصية لم تك كما يبدو لتعلو على حماية مدينته وسكانها من خلال الجهد الجماعي الذي يوزع المسؤوليات ويمنح الجميع قدراً من الصلاحيات.

ولو كان ابن جَهْوَر يبتغي مجداً شخصياً لكان بإمكانه إتباع سلوك الآخرين من زعماء الطوائف الذين استبدوا بالسلطة والحكم في دولهم المتعددة، ولكن هذه الصيغة من ممارسة السلطة كما ظهر في حكومة الجماعة بقرطبة كانت تحتاجها الأندلس في هذه الفترة العصيبة، ولا ننسى أن كل سلوكيات أبو الحزم وخلال الإثنتي عشرة سنة التي حكم بها كانت لا تطعن فيه مطلقاً وإنما تعزز سلامة مقصده وصحته وصدقه في توجهاته.

ثانياً: انجازات حكومة الجماعة.

ورث أبو الحزم بن جَهْوَر تركة ضخمة ممن سبقوه، فقد واجه واقعاً سيئاً، وفراغاً في السلطة، وانهياراً امنياً، وتدهوراً اقتصادياً كبيراً، ولذلك وجه جهده واهتمامه وجميع إمكانيات حكومته نحو تلك المحاور الثلاث، وسنحاول إلقاء الضوء ولو بإيجاز على كل واحد منها:

١. **إعادة الأمن:** كانت في مقدمة احتياجات حكومة قرطبة إعادة أجواء الأمن إلى ربوعها وما ضمته من مدن، إذ مثل ذلك هم إبن جَهْوَر الأول الذي بذل من اجله كل وقته وجهده.

ولعل القضية الأساسية التي عالجها في هذا المجال موضوع البربر وكيفية التعامل معهم بعدما اتسع أثرهم وازدادت قوتهم، وتفيدنا المصادر المختلفة أن ابن جهور اعتمد سياسة اللين

وخفض الجناح والرفق مع هؤلاء من اجل «تلافي خطرهم واتقاء لدسائسهم، وتهدئة لثورات اطماعهم، فحصل على محبتهم وسلمهم»(٣٩).

وانسجاماً مع هذا التوجه صرف ابن جَهْوَر جميع البربر عن الخدمة، واحتفظ بفئة واحدة منهم وهم بنو يفرن لأنه رأى أن من المستحيل عليه أن يعتمد على سواهم لما عرفه من ولائهم وطاعتهم له(٤٠).

ثم خطا ابن جَهْوَر خطوة أخرى لحفظ الأمن، وهي الاعتماد على العاملين في الأسواق في ذلك، فوزع السلاح عليهم «وأمرهم بتفرقته في الدكاكين وفي البيوت، حتى إذا دهم أمر في ليل أو نهار، كان سلاح كل واحد معه»(٤١).

وإتباع هذا المنهج في التعامل مع حالة الانفلات الأمني السائدة وقتها من قبل ابن جهور يدل على براعة في التعامل، وبعد نظر في السياسة، وتقدير دقيق للموقف الذي غدت عليه بلاد الأندلس من الفوضى والخوف من مالاتها، فكان اعتماد الحوار واللين سبيلاً لكف الأذى عن قرطبة وما جاورها، ثم ترسيخ قناعة أن حفظ الأمن مسؤولية الجميع والعمل على ضوئها كان كفيلاً بتحمل هذه المسؤولية من قبل أعداد كبيرة أدت أثراً مؤثراً في إعادة أجواء الهدوء والاستقرار إلى نواحي المدينة.

٢. **ملء الفراغ السياسي:** كان إعلان إلغاء الخلافة الأموية رسميا في عام ٤٢٢ هـ إيذاناً بحدوث فراغ كبير في السلطة على مستوى الأندلس برمتها، إذ انقسمت إلى مجموعة من الدويلات الصغيرة التي شكلت كما أسلفنا ما عرف بدول الطوائف.

وجد ابن جَهْوَر نفسه بعدما كلف بقيادة حكومة قرطبة إزاء موقف دقيق وحساس من الممكن أن ينفلت عقده في أي لحظة لا يحسب لها حساب، وبناءً على هذه الرؤية قدم عدة منجزات في الجانب السياسي.

فعلى **صعيد السياسية الداخلية** حاول ابن جَهْوَر ومنذ اللحظة الأولى ترسيخ مفهوم الشورى بديلاً عن الاستبداد، وحكومة الجماعة وسيلة لإدارة الأمور كما عرضنا في القسم الأول من هذا المبحث.

وفضلاً عن ذلك، لم يشعر أهل قرطبة بحدوث تغير في شخصية حاكمهم، فهو «لم يغير فيها زيه ولا مركبه ولم يتحول عن داره إلى قصر الخلافة، وكان على سنن أهل الفضل، يعود المرضى، ويشهد الجنائز، ويؤذن عند مسجدهم بالربض الشرقي، ويصلي التراويح، ولا يحتجب عن الناس، فأحبه أهل قرطبة ورضوا به بتدبير أمرهم»(٤٢).

وهذا السلوك اوجد جواً من الارتياح من قبل أهل قرطبة- كما مر بنا- تجاه شخص ابن جهور الذي مارس سلطته من بين جموع الجماهير، فأضاف إلى شورية دولته اندماجاً إيجابياً فعالاً

مع جميع طبقات المجتمع ولا سيما الدينية التي حرص أن يتواصل معها ويسير على هدى آرائها في القضايا التي تخصهم «فلم يكن يكتفي في بعض القضايا برأي الوزراء، وبخاصة في القضايا الفقهية الدقيقة، بل كان ينزل أحياناً إلى مسجد ابن عتاب يستشير ذلك الفقيه في مهم الأمور، وربما دعا بقية فقهاء الشورى فيقضي برأيهم وينفذ أحكامه بمحضرهم»[٤٣].

ولا ريب أن هذا التوجه مد جسور التواصل، وقوى العلاقة مع طبقة الفقهاء، ومنحهم مساحة مهمة يعيدون تلاحمهم مع باقي فئات المجتمع الأندلسي ويكونون من جديد عيناً تراقب، وفئة تؤثر، وطبقة تشارك في صياغة السياسيات والتوجهات العامة لحكومة الجماعة في قرطبة.

والحديث عن الجانب السياسي من حكومة الجماعة بقرطبة، يدفعنا إلى الإشارة لموقف ابن جَهْوَر من أسطورة ظهور الخليفة هشام المؤيد بالله من قبل القاضي محمد بن عباد في أشبيلية، ذلك إنه ومن اجل مواجهة محاولات بني حمود لتولي رئاسة جنوبي الأندلس وانتشاحهم بثوب الخلافة وبعدما أرهقته غارات يحيى بن علي بن حمود (المعتلى) بغاراته المتوالية، رأى ابن عباد أن يدحض دعواهم، فأعلن في سنة ٤٢٧ هـ أن الخليفة هشام المؤيد حي لم يمت، وأظهر شخصاً يقال أنه يدعى خلف الحصري شبيه كل الشبه به وبايعه بالخلافة [٤٤].

ودعا ابن عباد الناس للدخول في طاعته، وبعث بذلك إلى رؤساء الأندلس[٤٥]، ونجد إن ابن جهور الذي لم يكن مقتنعاً بالفعل- على ما يبدو- بهذه القصة، قد اندفع لتأييدها لحقبة من الزمن، لعل ذلك بدافع العمل على مواجهة خطر الحموديين كما يذهب إلى ذلك الأستاذ محمد عبد الله عنان، أو انسجاماً مع توجهاته القاضية بكونه أشبه ما يكون رئيساً مؤقتاً كما أشرنا، بيد أن الأحداث أكدت إنه ندم على موقفه فيما بعد حين طلب إليه إبن عباد أن يدخل في طاعته وأعلن تبرؤه من شبيه الخليفة هشام المؤيد ومن الشهادات التي قيل إنه وضعها لتأييد صحة دعوى ابن عباد[٤٦].

ولعل مما يدخل بهذا المجال مساعي ابن جهور المستمرة لترطيب الأجواء بين عدد من ملوك الطوائف، والعمل على تقريب وجهات النظر المختلفة، حتى غدت حكومة الجماعة تتمتع لذلك الجهد بمركز أدبي خاص، وتتخذ في أحيان كثيرة مركز الوسيط والحكم بين مختلف دول الطوائف، وتعمل بهيبتها وهيبة رئيسها الوزير المحنك، على فض المنازعات وإقرار السلم بين الأمراء[٤٧]، فكان ابن جَهْوَر «لرؤساء الطوائف بمنزلة الأب، يفصل بينهم في القضايا، ويشفع في الحوائج، ويُصلح بينهم في المنازعات»[٤٨].

ومن هذه المساعي حسم النزاع بين المعتضد بن عباد والمظفر بن الأفطس بعدما كانت الأمور قد ساءت بينهم لدرجة مخيفة، إذ كان ابن جَهْوَر كثيراً ما يبعث برسله للإصلاح بينهما، ويقول إبن عذاري مؤرخاً لهذا الأمر: «ولم يزل إبن جهور يضرب لهم الأمثال ويخوفهم من سوء

العاقبة والمآل، حتى صار فيهم كمؤمن آل فرعون وعظاً وتذكرة»، ولم يكل أو يمل حتى حقق الله الصلح بينهما بسعيه(٤٩).

وهكذا نرى أن حكومة الجماعة في قرطبة تمكنت بالفعل من تحقيق مضمونها القائم في المشاورة، وبذل كل الوسائل الممكنة للحفاظ على ما تضم من أراضي عبر قنوات السياسة والحوار المتواصل، بل إنها سعت لإصلاح أوضاع بعض زعماء الطوائف الذين قدموا مصالحهم الخاصة على مصلحة الأرض التي بدأت تتآكل شيئاً فشيئاً دون أن يهتم هؤلاء لأمرها أو يتراجعوا.

أما فيما يتعلق **بالسياسة الخارجية**، فلا نجد تفصيلات واسعة في المصادر عن كيفية تعامل حكومة الجماعة بقرطبة مع الخطر الإسباني، ومعظم المعلومات المتوفرة عنها تخص الشأن الداخلي.

ولعل قصر المدة الزمنية التي حكم بها ابن جَهْوَر مقارنة بباقي زعماء الطوائف، وعدم كون حكومته من دول الطوائف الكبيرة كدويلة أشبيلية أو طليطلة أو سرقسطة، فضلاً عن إن الواقع الذي عاشته قرطبة وقتها ولا سيما فقدان الأمن جعل همها الداخلي أكبر وأولوية مقدمة على باقي الجوانب ومنها الخارجية، لعل كل ذلك لم يجعل هناك زخم كبير في ميدان العلاقة مع الدول الإسبانية.

ومع ذلك يمكننا تلمس جانباً إيجابياً في هذا الموضوع وهو إننا لا نجد أي إشارة لتعاون أو رضوخ لابن جَهْوَر مع الإسبان، مثلما فعل باقي زعماء الطوائف ممن استهانوا بكل القيم الإسلامية وتعاونوا مع عدو الأندلس التاريخي من اجل مصالحهم السياسية(٥٠).

٣. **الإصلاح الاقتصادي**: كان تأثير أعمال التخريب التي وقعت في سنوات الفتنة كبيراً ولا سيما في الناحية الاقتصادية إذ كسدت الأسواق، وتدهورت أوضاع الأهالي بسبب الاقتتال والتنافس على السلطة.

ومحاولة من ابن جَهْوَر لإعادة الحياة إلى أسواق قرطبة ونواحيها، اتبع خطة محكمة من اجل تحقيق الانتعاش الاقتصادي من جديد، فعمل- ابتداءً-على إيصال رسالة مباشرة للأهالي بأنه لن يستحوذ على أي من الأموال الواردة لحكومته، وإن إدارته لها ستكون مشتركة جرياً على منهجه في إتباع الشورى والعمل برأي الجماعة في كل شيء.

ولهذا عمد ابن جَهْوَر إلى إحصاء الأموال الواردة، وعزل كل ما يزيد عن وجوه الإنفاق المعروفة من رواتب الجند وغيرها ثم جعلها «بأيدي ثقات من أهل الخدمة، مشارفاً لهم بضبطه، فإن فضل شيء تركه بأيديهم، مثقفاً مشهوداً عليه إلى أن يعن وجه تصرفه فيه، ولا يتلبس بشيء منه ولا يدخل داره»(٥١).

وهذا السلوك الذي اتبعه إبن جهور أكد على نزاهته من جهة، ومنح أهالي قرطبة الشعور بالاطمئنان إلى صدق توجهه من جهة أخرى وعزز قناعاتهم السابقة بشأنه، فأقبلوا يتعاونون معه في أمورهم وتدبير حكومتهم بشكل بديع لم يرَ من قبل إذ أحس الجميع بالفعل أن الحكومة حكومتهم، وتعمل لأجلهم(٥٢).

وخطا أبو الحزم بن جَهْوَر خطوات أخرى مهمة للغاية بغية إحداث حراك اقتصادي ينهي حالة الكساد والتدهور الذي عانى منه طويلاً، فعمد إلى توزيع الأموال على التجار في خطوة كان من شانها تشجيعهم على العمل من جديد وبروحية واندفاع عالي من أجل تنمية أسواق المدينة وإعادة الحياة إليها، كما اتفق مع هؤلاء التجار على أن تكون الأموال الموزعة عليهم بمثابة الدين «فتسجل رؤوس الأموال عليهم ولهم ربحها وتتم متابعة سير العمل فيه»(٥٣).

أي إن إبن جهور عمد إلى ضخ الأموال في أسواق قرطبة بطريقة إقراض التجار إياها وبشكل متوافق مع الشرع، وبما يحقق النتائج الباهرة والكبيرة كما سنرى لاحقاً.

لقد تمكن ابن جَهْوَر وبما يمتلك من عقلية اقتصادية من وضع أساس الإصلاح في هذا الميدان المهم والمؤثر، وكانت خطواته التي عرضنا لها أعلاه كفيلة بالانتقال السريع نحو مرحلة الاستقرار والرخاء الاقتصادي.

المبحث الثالث
أثر حكومة الجماعة

أولاً: تأثير حكومة الجماعة

مضى ابن جهور على السياسة التي اختطها لحكومته في الجوانب المختلفة مدة إثنا عشر عاماً، بسط فيها الأمن، وعم الهدوء والرخاء أرجاء قرطبة وما حولها، فتركت حكومة الجماعة التي قادها أثراً عظيماً وكبيراً، وعلى نحو أثار إعجاب وتعجب المؤرخين.

ويكفي أن نسجل مجموعة من الشهادات التي دونها المؤرخون للتدليل على تلك الآثار الإيجابية الحميدة:

يقول ابن عذاري: «واستمر تدبيره ابن جَهْوَر بقرطبة، فأنجح سعيه بصلاحها، ولم شعثها في المدة القريبة وأثمر الثمرة الزكية، ودب دبيب الشفاء في السقام، فنعش منها الرفاه وألحفها رداء الأمن»(٥٤).

كما إن جهود ابن جهور أعادت قرطبة «إلى أكمل حالتها، وانجلى به نور جلالتها، ولم تزل به مشرقة، وغصون الآمال فيها مورقة إلى أن توفي»(٥٥).

ويوثق لنا المؤرخ الكبير ابن حيان فيما ينقله عنه ابن بسام الشنتريني وبأسلوب بديع لحظات التحول التي أحدثتها حكومة الجماعة بقرطبة إذ «رخت الأسعار، وصاح الرخاء بالناس أن هلموا، فلبوه من كل صقع، فظهر تزيد الناس بقرطبة من أول تدبيره لها حتى ملأوا المساجد والأفنية، وسمت أثمان الأثر بها، والابتناء لخرابها الفاشي، أخذاً بالهوينا، فاتصل البنيان بها، وغلت الأثر، وحركوا الأسواق، فعجب ذو التحصيل للذي أوى إليه في صلاح أحوال الناس من القوة ولما تعتدل حل، أو يهلك عدو، أو تقو جباية، وأمر الله تعالى بين الكاف والنون»[٥٦].

وهذا التغير الإيجابي السريع وسط ذلك الجو المضطرب لمدن الأندلس الأخرى التي تفرقت وتنازعت بغية الحصول على السلطة والمكاسب من قبل هذا الطرف أو ذاك، جعل من حكومة الجماعة بقرطبة حالة استثنائية من إذ الأجواء الآمنة، والرخاء والهدوء المفقودين، فأصبحت بسبب ذلك «حرماً يلجأ إليه كل خائف ومخلوع عن ملكه»[٥٧].

ومن هؤلاء القاسم بن حمود صاحب الجزيرة الخضراء حين استولى عليها إبن عباد، فلما «سقط في يده وعجز عن تلافي أمره، فنزل على أمان وآل أمره إلى أن لحق بقرطبة وسكنها تحت كنف إبن جهور مع نظرائه من المخلوعين»[٥٨].

وكذلك كان حال عبد الله بن سابور صاحب أشبونة حينما انتزعها منه إبن الأفطس صاحب بطليوس، إذ اختار القصد إلى مدينة قرطبة، فكانت مستقره إلى آخر عمره[٥٩].

والتجأ عبد العزيز البكري صاحب ولبة وجزيرة شلطيش إلى قرطبة حينما حاصره إبن عباد ونزعه سلطانه، فقد «انزعج إلى قرطبة ووردها مسلوب الإمارة لائذاً بكنف إبن جهور ساد الخلة ومأوى الطريد»[٦٠].

كما وجد علماء الأندلس ومبدعيها في قرطبة وقتها موطناً جاذباً لهم، فنجد أنها زخرت بالعديد منهم ممن استوزروا من قبل بني جَهْوَر، وفي مقدمتهم مؤرخ الأندلس الكبير إبن حيان القرطبي والكاتب الشاعر والوزير ابن زيدون[٦١].

وهكذا تتوالى نصوص المؤرخين لتعزز مقولة أن حال قرطبة وقت حكومة الجماعة قد بلغ مرتبة متقدمة من الأجواء الآمنة والرخاء الاقتصادي، حتى غدت ملاذاً لكل خائف، وأصبح أبو الحزم بن جَهْوَر كما عبر عنه ابن عذاري بدقة (ساد الخلة ومأوى الطريد).

ثانياً: نهاية حكومة الجماعة.

توفي شيخ الجماعة ورئيس قرطبة أبو الحزم بن جهور في محرم من عام ٤٣٥ هـ تاركاً خلفه مدينة تتمتع بمظاهر الهدوء والطمأنينة والسلام والرخاء.

وتلاه في الرئاسة من بعده ولده أبو الوليد محمد بن جهور الذي أقر الحكام وأولي المراتب واقتفى آثار أبيه[٦٢]، وكان «نهاية بيوت الشرف الأثيل بقرطبة على ممر الدهر»[٦٣].

ويسجل المؤرخون بداية نهاية حكومة الجماعة بتقديم أبو الوليد لولده عبد الملك ربما لأن أصلها الشوري قد ضرب في مقتل، هذا فضلاً عن إن عبد الملك لم يك كأسلافه، إذ أساء السيرة وأهمل شؤون البلاد، وسعى إلى الألقاب السلطانية فتسمى بذي السيادتين المنصور بالله، الظافر بفضل الله، فغدا كغيره من ملوك الطوائف.

كما فوض الأمور إلى وزير أبيه إبراهيم بن يحيى بن السقاء الذي أحسن التدبير، لكن إعدامه بوشاية من المعتضد بن عباد أعاد الأمور إلى اضطرابها[٦٤]، ناهيك عن منافسة أخيه عبد الرحمن له مما أضطر أبو الوليد إلى تقسيم الدولة بينهما فجعل عبد الملك مشرفاً على الجيش وعبد الرحمن على الأمور المالية، ولكن هذا التقسيم لم يك ليرضي عبد الملك الذي قبض على أخيه وفرض عليه الإقامة الجبرية مما ولد نوعاً من الاستياء لتدهور الأوضاع بشكل كبير جداً ولا سيما بعدما أقعد الشلل والده أبو الوليد.

هذه الأوضاع السيئة دفعت بالمأمون يحيى بن ذي النون صاحب طليطلة للتفكير بالاستيلاء على قرطبة، فاضطر عبد الملك للاستعانة ببني عباد نظراً للصداقة التي تربطه به، ولكن بني عباد الذين استطاعوا تخليص قرطبة من حكام طليطلة عادوا واستولوا عليها سنة ٤٦٢ هـ وقبضوا على بني جهور ونفوهم إلى جزيرة شليطش[٦٥].

ويشير صاحب الذخيرة إلى إن المؤرخ الأندلسي إبن حيان قد ألف كتاباً عن النكبة الجهورية سماه (البطشة الكبرى) وامتاز بقوته وبلاغته، إذ شهد بنفسه هذه الحوادث وسجل ما رآه من وقائع حين كان وزيراً لعبد الملك بن جَهْوَر[٦٦].

وهكذا طويت صفحة دولة بني جهور بقرطبة بعد ما يقارب الأربعين عاماً لتكون أول دولة تسقط من بين دول الطوائف الرئيسية، وأول حكومة نموذجية وسط هذا الواقع السيئ المليء بصور الاستبداد بالسلطة، ولذلك بقيت «نبتة غريبة لم يكتب لها أن تعمر طويلاً في بيئة قائمة على التغالب والتناحر وعلى أكل القوي للضعيف»[٦٧].

الخاتمة

تناولنا في الصفحات الماضية موضوع (حكومة الجماعة في قرطبة) خلال المدة من ٤٢٢ هـ-٤٣٥ هـ، وفي ختامها يمكن أن نضع النتائج الآتية له:

١. مثلت (حكومة الجماعة) نموذجاً فريداً في عصر الطوائف، إذ تخلت عن التنافس والتناحر السياسي واعتمدت مبدأ الشورى منهجاً لها.

٢. كان اختيار أبو الحزم بن جَهْوَر لإدارة الدولة والسلطة في قرطبة نتيجة عدة عوامل قدمته على غيره، ومنها انتماءه لعائلة عريقة وبارزة في المجتمع الأندلسي، وخبرته السياسية الواسعة، وثقافته وعلمه، والتزامه الديني.

٣. طبق ابن جَهْوَر نظام الشورى بأبهى صوره من خلال جعل القرارات شورية، ومنح الكثير من أبناء قرطبة أثراً ملموساً في إدارة شؤون مدينتهم، ومحاولة استقصاء جميع الآراء ولاسيما الفقهاء في المواضيع المختلفة.

٤. واجهت حكومة الجماعة واقعاً سيئاً خلفته سنوات الفتنة، فعالجه ابن جهور بحكمة وبراعة، فهادن البربر وأقصاهم عن الخدمة، وسلح أهل الأسواق ليكونوا على أهبة الاستعداد للدفاع عن مدينتهم.

٥. عمد ابن جهور إلى تنشيط الجانب الاقتصادي من خلال إقراض التجار مبالغ مالية ليستفادوا من أرباحها فأحدث حراكاً كبيراً وأعاد الحياة إلى أسواق دولته، كما وجعل التصرف بالأموال يتم عبر رأي الجماعة وليس من خلال رأي فرد واحد.

٦. لمست قرطبة في شخص إبن جهور الحاكم الملتزم والسياسي البارع فتوجه إلى تقوية نظامه السياسي، وحاول التوفيق بين زعماء الطوائف المختلفين.

٧. انعكست كل الصفات الايجابية التي حملتها حكومة الجماعة في قرطبة على واقع البلاد، فحل الأمن والاستقرار بعد سنوات الفزع والاضطراب، وتمتع الأهالي بالرخاء والبناء من جديد إثر حياة الكساد والجمود التي كانوا يعيشونها، وغدت دولتهم محط أنظار الزعماء الفارين والمخلوعين والكتاب ممن وجدوا فيها وبشخص رئيسها ملاذاً آمناً لهم.

٨. يمكن القول أن بداية النهاية لحكومة الجماعة كانت بعد وفاة زعيمها وتوالي أبناءه على تولى الحكم، فإذا أفلح أبو الوليد في ضبط زمام الأمور فإن عبد الملك لم يكن كسلفه فلم يحسن الإدارة وتنازع السلطة مع أخيه وساء الأحوال لتنتهي بسيطرة بني عباد عليها في عام ٤٦٢ هـ فطويت صفحة دولة بني جهور ومعها انتهت واحدة من التجارب المهمة والمؤثرة في تاريخنا الإسلامي الزاهر في الأندلس.

الهوامش

(١) عن هذه المرحلة الحرجة من تاريخ الأندلس ينظر على سبيل المثال: ابن عذاري أبو العباس أحمد بن محمد المراكشي؛ البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق كولان وبروفنسال، ط٢، بيروت، دار الثقافة، ١٩٨٠، ج٣، ص٧٤، ٨١، ٨٥، ٩٥، ١١٤.

(٢) الحجي، عبد الرحمن علي، التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، ط١، دمشق بيروت، دار القلم، ١٩٧٦، ٣٢٣.

(٣) يحدد العلماء مفهوم الجماعة وفق خمسة آراء وهي: إنهم السواد الأعظم من المسلمين، أو أهل الحل والعقد في كل العصور، أو الصحابة على وجه الخصوص دون من بعدهم، أو هي جماعة المسلمين إذا اجتمعوا على أمير، أو هم أهل الإسلام إذا أجمعوا على أمر وجب على غيرهم إتباعهم، عن ظهور المصطلح وتطوره التاريخي، ينظر: جودة، جمال، الخلافة في صدر الإسلام «دراسة في الفكر السياسي والديني وتطوره في دولة الإسلام في مرحلة التكوين والنشأة» مجلة جامعة النجاح للأبحاث، (العلوم الإنسانية)، المجلد ١٨، ١، ٢٠٠٤، ص ٥٨، ٥٩، ٦٣، ٦٥، ٦٦.

(٤) الحجي، التاريخ الأندلسي، ٣٢٣؛ عنان، محمد عبد الله، دولة الإسلام في الأندلس، العصر الثاني دول الطوائف منذ قيامها حتى العصر المرابطي، ط٤، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٩٧، ص٢١-٢٢.

(٥) ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود، الصلة، تحقيق إبراهيم الأبياري، القاهرة، بيروت، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٩، ج١، ص٢١٥؛ ابن سعيد، علي بن موسى وآخرون، المغرب في حلى المغرب، تحقيق شوقي ضيف، ط٤ القاهرة، دار المعارف، ١٩٩٣، ج١، ص٥٦؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص١٨٥-١٨٦؛ ابن خلدون، عبد الرحمن، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، بيروت، دار الفكر، ٢٠٠٠، ج٤، ص٢٠٤؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص١٨٥-١٨٦.

(٦) ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبد الله محمد التلمساني، أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تحقيق: ليفي بروفنسال، بيروت، دار المكشوف، ١٩٥٦، ص١٧٤ .

(٧) ابن عذاري، البيان المغرب، ص١٨٦.

(٨) ابن بشكوال، الصلة.

(٩) المقري، شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب، تحقيق: الدكتور إحسان عباس، بيروت، دار صادر، ج٣، ص٤٥.

(١٠) ابن الأبار، أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي، الحلة السيراء، تحقيق الدكتور حسين مؤنس، ط٢، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٥، ج٢ ص٣٠.

(١١) عنان، دول الطوائف، ص٢١.

(١٢) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص١٤٧.
(١٣) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص١٤٧.
(١٤) المصدر نفسه، ص١٤٧.
(١٥) ابن الأبار،، الحلة السيراء، ج٢، ص٣٠.
(١٦) المقري، نفح الطيب، ج١، ص٣٠٢.
(١٧) المصدر نفسه، ص٣٥٦.
(١٨) إبن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص١٥٩.
(١٩) المصدر نفسه، ج٢، ص١٩٧.
(٢٠) عن هذا الموضوع ينظر كذلك: عنان، دول الطوائف، ص٢١.
(٢١) أعمال الأعلام، ١٤٨.
(٢٢)ابن حزم الأندلسي، أبو محمد علي بن أحمد، رسالة في فضل الأندلس وذكر رجالها منشورة ضمن رسائل إبن حزم الأندلسي، تحقيق: إحسان عباس، ط٢، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٧،ج٢، ص٢٠٣.
(٢٣) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص٤١.
(٢٤) ابن عذاري، البيان المغرب، ص١٢٣؛ وتشير الأخبار التاريخية إلى إن علي بن حمود نقم عليه فيما بعد وسجنه وصادر أمواله، ينظر: عنان، دول الطوائف، ص ٢٠.
(٢٥)ابن حزم، رسائل، ج٢، ص٢٠٣.
(٢٦) عنان، دول الطوائف، ص٢١.
(٢٧) ابن بسام، أبو الحسن علي الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، دار الثقافة، ١٩٩٧، ق١، مج٢، ص٦٠٣.
(٢٨) ابن خلدون، العبر، ج٤، ص٢٠٤؛ إبن سعيد، المغرب، ج١، ص٥٦.
(٢٩) ابن بسام، الذخيرة، ق١، مج٢، ص٦٠٣؛ عباس، إحسان، الشورى في المغرب والأندلس، بحث منشور ضمن كتاب الشورى في الإسلام، عمان، المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، مؤسسة آل البيت، ١٩٨٩، ج١، ص٣٦٠.
(٣٠)عباس، الشورى، ص٣٦٠.
(٣١) ابن بسام، الذخيرة، ج١، ص٦٠٢.
(٣٢) المقري، نفح الطيب، ج١، ص٣٠٢.
(٣٣) مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، تحقيق: لويس مولينا، مدريد، ١٩٨٣، ص٢١٥
(٣٤) ابن بسام، الذخيرة؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص١٨٦.

(٣٥) الضبي، احمد بن يحيى، بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس، تحقيق: إبراهيم الأبياري، القاهرة، بيروت، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٩، ج١، ص٥٧؛ ابن حزم الأندلسي، رسائل، ج٢، ص٢٠٣.

(٣٦) إبن بسام، الذخيرة، ق١ج٢، ص٦٠٣.

(٣٧) نفح الطيب، ج١، ص٣٠٣.

(٣٨) دول الطوائف، ص ٢٢.

(٣٩) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص١٨٦-١٨٧؛ عنان، دول الطوائف، ص٢٣.

(٤٠) دوزي، رينهارت، ملوك الطوائف ونظرات في تاريخ الإسلام، ترجمة كامل كيلاني، القاهرة، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ١٩٣٣، ص١١.

(٤١) ابن حزم، رسائل ابن حزم، ج٢، ص٢٠٣-٢٠٤.

(٤٢) إبن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص١٨٦؛ ابن خلدون، العبر، ج٤، ص٢٠٤؛ مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص٢١٥-٢١٦.

(٤٣) عباس، الشورى، ص٣٦١.

(٤٤) يوجز ابن حزم الأندلسي هذا الحدث بقوله تحت عنوان «اخلوقة لم يقع في الدهر مثلها»: «ظهر رجل حصري بعد اثنتين وعشرين سنة من موت هشام بن الحكم المؤيد، وأدعى أنه هو، فبويع له، وخطب له على جميع منابر الأندلس في اوقات شتى، وسفكت الدماء، وتصادمت الجيوش في امره» رسالة نقط العروس في تواريخ الخلفاء، رسائل إبن حزم، ج٢، ص٩٧؛ السامرائي، خليل إبراهيم وآخرون، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، الموصل، مطابع دار الكتب للطباعة والنشر بجامعة الموصل، ١٩٨٦، ص٢٢١،

(٤٥) عنان، دول الطوائف، ص٢٤؛ السامرائي وآخرون، تاريخ العرب وحضارتهم، ص٢٢١.

(٤٦) عن هذا الموضوع وتفاصيله، ينظر إبن عذاري، البيان المغرب ج٣، ص١٩٠، ص١٩٨، ص٢١٠؛ عنان، دول الطوائف ص٢٤.

(٤٧) عنان، دول الطوائف، ص٢٩.

(٤٨) ابن الخطيب، أعمال، ص١٥١؛ ويعد الدكتور عبد الرحمن الحجي ابن جَهْوَر أحد الأفاضل الداعين للوحدة في الأندلس، ينظر: التاريخ الأندلسي، ص٣٤٥.

(٤٩) البيان المغرب، ج٣، ص٢١٢-٢١٣.

(٥٠) تدلنا النظرة المتفحصة أن عصر الطوائف لم يخل من بعض الصور الايجابية أو معاني الخير التي تكللت في النهاية باستدعاء المرابطين لنجدة الأندلس فضلاً عن بعض مظاهر المنجز العلمي والحضاري ولكن يبقى كل ذلك ضئيلاً جداً مقارنة بالجوانب السلبية التي أوصلت الأندلس إلى أشد حالات الفرقة والصراع والضعف والاستكانة للعدو، عن محاور

العلاقة مع الإسبان في عصر الطوائف ينظر: عبد الحليم، رجب محمد، العلاقات بين الأندلس الإسلامية وأسبانيا النصرانية في عصر بني أمية ودول الطوائف، القاهرة، بيروت، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، د.ت، ص٢٧٠-٣٨٠ ؛ الحجي، التاريخ الأندلسي، فصل (عهد الطوائف)، ص٣٢١-٤١٦.

(٥١) ابن بسام، الذخيرة، ق١ مج ٢ص٦٠٣ ؛ ابن حزم، رسائل، ص٢٠٣ ؛ الضبي، بغية الملتمس، ص٥٧ ؛ ويستدرك ابن حيان فيما ينقله عنه إبن بسام في الذخيرة من إن إبن جهور مع إجراءاته تلك «لم يخل من النظر لنفسه وترقيحه لمعيشته حتى تضاعف ثراؤه وصار لا تقع عينه على أغنى منه، حاط ذلك كله بالبخل الشديد والمنع الخالص اللذين لولاهما ما وجد عائبه فيه طعناً، ولكمل لو أن بشراً يكمل» الذخيرة، المصدر نفسه ؛ وربما إن ذلك الثراء الذي يقصده إبن حيان هو من مال إبن جهور الخاص، إذ إن الشهادات تتوالى عن نظافة يده، ونزاهته كما رأينا أعلاه، وحتى هو لم يسجل عليه مخالفة شرعية في جمعه للمال وإنما عزاه إلى البخل والمنع والحرص دونما سواهما.

(٥٢) سبق وأن أشرنا إلى أن ابن جهور لم يطرأ عليه تغيير بعد تسلمه السلطة، ولا نجد مؤرخاً واحداً يخالف هذا الرأي الذي أُجمع عليه، ينظر: إبن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص١٨٦؛ ابن خلدون، العبر، ج٤، ص٢٠٤؛ مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص٢١٥-٢١٦.

(٥٣) ابن حزم، رسائل إبن حزم، ج٢، ص٢٠٣- ٢٠٤؛ عنان، دول الطوائف، ص٢٣.

(٥٤) البيان المغرب، ج٣، ص١٨٦-١٨٧.

(٥٥) المقري، نفح الطيب، ج١، ص٣٠٣ نقلاً عن الفتح بن خاقان.

(٥٦) الذخيرة، ق١، مج٢، ص٦٠٤؛ وينظر كذلك: دوزي، ملوك الطوائف، ص١٥ .

(٥٧) ابن سعيد، المغرب، جـ ١ ص٥٦ .

(٥٨) ابن عذاري، البيان المغرب،ج٣ ص٢١٣

(٥٩) المصدر نفسه، ص٢٣٧.

(٦٠) المصدر نفسه، ص٢٤٠-٢٤١.

(٦١) الحجي، التاريخ الأندلسي، ص٣٢٥.

(٦٢) ابن الخطيب، أعمال الأعلام؛ ابن خلدون، العبر، ج٤، ص٢٠٤

(٦٣) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص١٤٨.

(٦٤) كان المعتضد بن عباد أمير إشبيلية يشعر بأن استمرار هذا الوزير القوي على هذا النحو في رياسة حكومة قرطبة يحول دون تحقيق مشاريعه بالاستيلاء عليها، فسعى لدى عبد الملك في حق ابن السقاء وحذره من أطماعه واستئثاره بالسلطة وأغراه بقتله، فسمع عبد الملك لرأيه وقتل وزيره في كمين دبره عام ٤٥٥ هـ، عن هذا الموضوع ينظر: ابن عذاري، البيان المغرب،ج٣،

ص٢٣٢، ص٢٥١، ص٢٥٦؛ ابـن الخطيـب، أعمـال الإعـلام، ص١٤٩؛ عنـان، دول الطوائف، ص٢٦.

(٦٥)عن تفاصيل نهاية دولة بني جهور ينظر: ابن سعيد، المغرب، ج١، ص٥٦؛ ابن خلدون، العبر، ج٤، ص٢٠٤؛ ابن الخطيب، المصدر السابق، ص١٤٨-١٥١؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج٣، ص٢٥٩، ويقول إبن عذاري أن أهل قرطبة كاتبوا إبن عباد سراً لدخول المدينة بعدما ضاقوا بأعمال عبد الملك وأخيه عبد الرحمن، ينظر البيان المغرب، ص١٩٥.

(٦٦) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص١٥١؛ عنان، دول الطوائف، ص٢٩.

(٦٧) عباس، الشورى، ص٣٦٢.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر الأولية.

ابن الأبار، أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي (ت ٦٥٨ هـ)

- الحلة السيراء، تحقيق: الدكتور حسين مؤنس، ط٢، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٥.

ابن بسام، أبو الحسن علي الشنتريني (ت٥٤٢ هـ).

- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، دار الثقافة، ١٩٩٧

ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود الأنصاري (ت٥٧٨ هـ).

- كتاب الصلة، تحقيق: إبراهيم الأبياري، القاهرة، بيروت، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٩.

ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد (ت٤٥٦ هـ).

- رسائل إبن حزم الأندلسي، تحقيق: إحسان عباس، ط٢، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٧.

ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبد الله محمد التلمساني (ت٧٧٦ هـ)

- أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تحقيق: ليفي بروفنسال، بيروت، دار المكشوف، ١٩٥٦.

ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون (ت ٨٠٨ هـ)

- كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، بيروت، دار الفكر، ٢٠٠٠.

ابن سعيد، علي بن موسى وآخرون (ت٦٨٥ هـ)

- المغرب في حلى المغرب، تحقيق: شوقي ضيف، ط٤ القاهرة، دار المعارف، ١٩٩٣.

الضبي، احمد بن يحيى (ت ٥٩٩ هـ).
– بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس، تحقيق: إبراهيم الأبياري، القاهرة، بيروت، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٩.
ابن عذاري، أبو العباس أحمد بن محمد المراكشي (ت بعد ٧١٢ هـ).
– البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: كولان وبروفنسال، ط٢، بيروت، دار الثقافة، ١٩٨٠.
مجهول، مؤلف.
– ذكر بلاد الأندلس، تحقيق لويس مولينا، مدريد، ١٩٨٣.
المراكشي، محي الدين عبد الواحد بن علي (ت ٦٤٧ هـ).
– المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق: محمد زينهم محمد عزب، القاهرة، دار الفرجاني للنشر، ١٩٩٤.
المقري، شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني (ت١٠٤١ هـ).
– نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب، تحقيق: الدكتور إحسان عباس، بيروت، دار صادر، ١٩٦٨.

ثانياً: المراجع الثانوية
بول، ستانلي لين.
– قصة العرب في أسبانيا، ترجمة علي الجارم، القاهرة، ١٩٧٤.
الحجي، عبد الرحمن علي.
– التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، دمشق، بيروت، دار القلم، ١٩٧٦.
دوزي، رينهارت.
– ملوك الطوائف ونظرات في تاريخ الإسلام، ترجمة كامل كيلاني، القاهرة، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ١٩٣٣.
عباس، إحسان وآخرون.
– الشورى في المغرب والأندلس، بحث منشور ضمن كتاب الشورى في الإسلام، عمان، المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، مؤسسة آل البيت، ١٩٨٩.
عبد الحليم، رجب محمد.
– العلاقات بين الأندلس الإسلامية وأسبانيا النصرانية في عصر بني امية ودول الطوائف، القاهرة، بيروت، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، د. ت.
عنان، محمد عبد الله.

– دولة الإسلام في الأندلس، العصر الثاني دول الطوائف منذ قيامها حتى العصر المرابطي، ط٤، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٩٧.

السامرائي، خليل إبراهيم وآخرون.

– تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، الموصل، مطابع دار الكتب للطباعة والنشر بجامعة الموصل، ١٩٨٦.

شلبي، أحمد.

– موسوعة التاريخ الإسلامي، ط١٠، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٩٥.

ثالثاً: المجلات والدوريات.

جودة، جمال.

– الخلافة في صدر الإسلام «دراسة في الفكر السياسي والديني وتطوره في دولة الإسلام في مرحلة التكوين والنشأة» مجلة جامعة النجاح للأبحاث، (العلوم الإنسانية)، المجلد ١٨، ١، ٢٠٠٤.